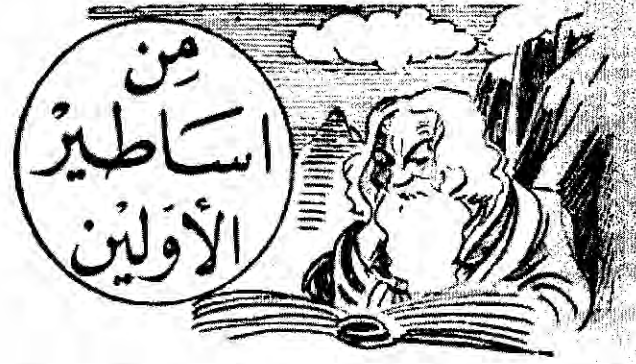




الأوديسيوس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابق

« عاد أبطال اليونان إلى بلادهم بعد انتهاء حروب طروادة إلا أوديسيوس ملك إيثاكا فقد ضلت به الفلك في البحر الهجي لأنه لم يعثر الثرائين للآلهة قبل إبحاره فوقف له نيتيون رب البحار بالمرصاد وأعرق سفينته وسبح البطل حتى كان في جزيرة كليبيس عروس الماء التي عوبته وأولعت به واحتجزته عندها سنين عدة حتى تحركت الشفقة في قلب ميترافرة الحكمة فسألت أباه كبير الآلهة أن يأمر بإطلاق سراح أوديسيوس ففعل وأبحر البطل على رمت من عند كليبيس — ولحقه نيتيون عدوه الألد فأغرق رمنه ، ولكنه سبح هذه المرة أيضاً حتى كان في شاطئ شيرا مملكة الفياشين ، وهناك لقيته ابنة الملك أنكيبوس فأخذته إلى بيت أبيها الذي أكرم مشواة وأقام له حفلا كبيراً أبدى فيه أوديسيوس من ضروب الشجاعة ما بهر الفياشين وخبأ أباهم ، ولم يعرفوا أنه أوديسيوس سألوه أن يقص عليهم ما عنده من قصص فأخذ يسرد قصته المعجبية الرائعة فذكر قيامه من طروادة وغزوه إزماروس ورسوه في جزيرة اللوتوفجي — أكلة اللوتس — وتروله في أرض السكالب وكيف حبسه السيكلوب في كهفه ثم نجاةهم منه بعد أن أكل منهم عدداً وفيراً ، ثم ترولهم بجزيرة

الساحرة سيرس التي مسخت بعض رجاله إلى خنازير وما كان من احتياله حتى ردتهم إلى صورهم ، ثم قص رحلته إلى هينز — الدار الآخرة — وذكر من لقي هناك من أبطال الأعريق الذين قتلوا في طروادة وكيف كلم شريح أمه وأرواح العذارى اليونانيات ... ثم عاد إلى سيرس وأبحر من عندها مرة أخرى ليصل إلى بلاده ، وما لقي من الهول في طريقه بالصخريتين الموحشتين سكيللا — الهولة التي أكلت ستة من رجاله — وخاربيديس التي تبتلع البحر وتلتظفه — وما كان من رسوه بأرض الشمس واعتداء أصحابه على قطعانها — الأمر الذي أغضب رب الشمس وكان سبباً في حرق سينة أوديسيوس وموت جميع أصحابه وكيف نجا من هذا الفرق إلى جزيرة كليبيس وفي تلك الظروف كان أسراء إيثاكا قد طمعوا في زوجة أوديسيوس لجأها الثمان فحاصروا بيتها لتختار من بينهم بفلاها ولبنوا هناك أعواماً يريفون من خير البطل ثم ذهب تلياك ابنه الحبيب ليسأل الملوك عن والده فلم أنه حبس كليبيس المذكورة — وروع العشاق لما علموا بسر تلياك فتربصوا له ليقنالوه في الطريق »

أوديسيوس يصل إلى إيثاكا

وفرغ أوديسيوس من حديثه ، وجلس القوم في الردهة ذات الظلل مسبهين مشدوهين من روعة ما حدث ، ومن غريب ما روي ، حتى تكلم الملك فقال: « أوديسيوس ، يا أيها العزيز ! صفا بالك وطاب حالك ، واستدريت من ذرى هذه القبة السماء بركن ركين ، فلن ينالك أذى بعد اليوم ، ولن تقدر عليك الرياح الهوج في رحلتك الآمنة إلى بلادك ، وإن يكن مثلك لا يزال الحدثنان ، ولا يأبه لصروف الزمان ، بعد إذ رضع لبنها ، وتقلب طويلاً في أحضانها ... وإنه والله ليس أحب إلينا من أن تقيم آخر الدهر عندنا فتتحسى ماشئت من أكرم هذه الخمر ، وتشنف أذنيك بما يتغنى مطربنا الحبيب الإلهي ؛ وإلا ، فذاك صندوقك العزيز وفيه أذخار

الهدايا وأعز الخلى ، من مطارف الديناج ، ومكنون الذهب الوهاج ... ولكن على رسلك ، هلموا بامعاشر الفياشيين فليحضر كل منكم للنازح الكريم طرفة من أبر الطرف ، وتحفة من أجل التحف ، وتكن ركيزة من الذهب وأصيصاً صغيراً للزهر ؛ ويساهم الشعب في هذا ، ذلك أدنى ألا تطيقوا منها^(١)»

وصادفت مقالة الملك هوى في قلوب السادة زعماء الفياشيين ؛ ثم نهضوا فنفروا إلى منازلهم ينامسون الراحة ، ويضعون بطيب المنام ؛ ونضرت أورورا ابنة الفجر جبين المشرق بأفواف الورد فهب الزعماء العظام من مراقدهم ، وبادروا إلى السفينة بهداياهم التي وصف الملك . وقد كان ألكينوس نفسه ينتظرهم ثمة ؛ وكان يتناول كل هدية بيده فيضعها موضعها الأمين تحت مقاعد المخدفين حتى تكون بنجوة من ضرر يصيبها ، أو أذى يلحق بها ، حين يكون الملاحون مشغولين فيما هم بسبيله من عمل البحر ومصارعة الموج ... حتى إذا أسلموا تذكاراتهم عادوا مع الملك إلى قصره المنيف لوليمة الوداع الفاخرة وقد قرب إلى جوف الكبير المتعال رب الأرباب ورب السحاب النقال ، بشور جسد عظيم ؛ وأعدت من نخذه شواء سعي أقبل عليه القوم يأكلون ويروغون^(٢) ، بينما يسكب في آذانهم غناءه ديمودوكوس مطربهم الحذق الحبيب . وكان أوديسيوس يرتو بطرفه المشتاق إلى الشمس يود من أعماقه لو هجت إلى خدرها ، وكان يضجره منها

(١) في الأصل : يقول الملك إنه سيكلف الشعب بعض الضرائب لسداد الثمن ولا تدري كيف يسبغ ملك أن يقول ذلك . (٢) يسمون اللقمة

جرباً بها الوئيد ، فهو دائماً يرب مغيبها بعنى ذلك الزارع الشقي الجوعان الذي أجهده طول النصب في حرث حقله ، فعلق بصره بالشمس يتمنى لو هبطت نجاة في المغرب ليلوى أعنة بهائه إلى كوخه ، وليتبع هناك باقيات ؛ وما كادت تتوارى بالحجاب حتى وجه الخطاب لزعماء الفياشيين في شخص الملك ، فقال : « مولاي الملك الجليل ألكينوس ! يا نحر شيرا وعماد الفياشيين : حبذا لو أدت الصلاة الخمرية يا مولاي وتفضلت فأذنت لي في وداعكم ، مادمت قد أعددتهم لي الهدايا واللى ، والأبطال الصناديد من رجالكم الملاحين ... وإنى لأضرع إلى الآلهة أن ترعاني في رحلتى في اليم ، وأن أصل إلى بلادى فألقى فيها آلى وعشيرتى سائلين ، كما أسأل أرباب الأولب أن ترعاكم وأن تقر أعينكم جميعاً بذويكم ، وأن تقي عابكم من نعماتها ، وتحفظ بلادكم من عاديات الزمان ومهمات الحدثن » وسر الجميع من مقالته فهتفوا له ، ورجوا الملك أن يأذن له في السفر ، فالتفت ألكينوس إلى مشيره وقال : « هلم يا بنسئون فأدهق الزق واحمل الخمر إلى جميع أضيافنا ليربقوها خلصة لوجه سيدى الأولب ، كي تتأذن لأوديسيوس بالرحيل إلى دياره » ولبي المشير ، وأخذ كل كأسه ، ولم ينتظر أوديسيوس حتى يصل الندمان إلى الملكة المبهجة الوقور ، بل هب مسرعاً وقدم إليها كأسه الهائلة ، وقال : « وداعاً يا مولانى الملكة أحر الوداع ؛ وداعاً إلى آخر العمر ؛ وليكن عمراً موفوراً تخفف رجاً تقرين فيه بمولاي الملك والسادة النجب أبناءك المحبوبين وشعبك الأمين »

وحباً وبيساً ، ثم أصرع إلى الرفأ ومشير الملك يسى بين يديه ، وثلاث من وصيفات الملك يتهادين

وتلاّلت في الأفق الشرق نجمة الفجر
الصادق ، حينما كانت الفلك قبالة الأرض الموعودة ...
إيتاكا ... بعد إذ أمت رحلتها الحاطفة في جنح
الليل ... وهناك في شاطئ المدينة ، أنشئ مرفأ
أمين باسم فورسيز رب الأعماق يُدخل إليه بين
حاجزي أمواج ممتدين على مدى الجون الجميل ، بين
ذراعي الميناء ، فما تستطيع ريح أن تعث بما فيه من
سفين وقد بسقت أشجار الزيتون على الشاطئ
وامتدت امتداداً هائلاً إلى كهف حريز تأوى إليه
طائفة من عرائس البحار يقال لها النّياد . وثمة ،
أي في هذا الكهف المقدس ، صفت أباريق من
حجر وجرار كثيرة ، يأتي النحل فيودع فيها
شبهه ؛ وقامت فيه أيضاً عمد من حجر يقال إن
عرائس الماء تنسج عليها أثوابها العجيبة . وفيها
أيضاً عيون من ماء زلال تسقى ساكنيه . ويؤدي
إلى الكهف طريقان عظيمان ، أحل أحدهما للناس
يضربون فيه ما يشاءون ؛ أما الآخر فلا تطؤه إلا
قدم إله كريم ، ويعرف بطريق الجنوب المقدس
ويم البحارة بفلكهم شطر الميناء ، ثم أرسوا
فيه ، وجنحت السفينة بنصف حيزومها على رماله ...
وحملوا أوديسيوس الزعيم دون أن يوقظوه ، ووسدوه
على فراش^(١) وظأوه على الشاطئ ، ثم حملوا كل
متاعه وأذخاره فجمعوها إلى جانبه خلف زيتونة ضخمة
تحجبها عن أنظار المارة ، حتى لا يعبث بها عيار إذ
هو غرق في نومه العميق ... وركبوا الفلك بمد
هذا وعادوا أدراجهم إلى شيرا ... وأحس نبتيون
الجبار رب البحار وعدو أوديسيوس الأكبر بما فعل
الفياشيون فثار ثأره وقال يمتب على زيوس : « أيها

في إثره ؛ أما أولاهن فكانت تحمل الثوب الديباجي
الموشى ؛ وأما الثانية فكانت تحمل الصندوق الثمين
ذا الأذخار ؛ وحملت الثالثة مئونة حافلة من أشهى
الآكال وأطيب الشراب ... حتى إذا كن عند
السفينة ، سألن ما حملن الملاحين الشجعان واثنين
من حيث أقبلن ... واشتغل بعض البحارة بإعداد
فراش وثير في قمرة خلفية من أجل أوديسيوس ...
الذي آوى إلى منامته واستغرق نمة في سبات لذيذ ،
بينما كان الملاحون دائبين في فك الحبال ورفع
المرساة من صخور الشاطئ ، حتى إذا انتهوا
توزعوا إلى مجاديفهم وأعملوا فيها أيديهم ، فهمت
الفلك واحتواها الماء ، وأقلت تشق الأمواج ،
واتخذت سبيلها في البحر سرباً ... هذا بينما كان
النائم البري قد استسلم لطائف من الكرى يشبه
طائف المنون

وعمر ك الله هل رأيت أربعاً من صافنات الجياد
تبارى في حلبة ، ، وقد أذن المؤذن فاندفعت تنهب
الرحب ، وأرسلت في الهواء أعرافها ؛ لقد كانت
السفينة تتوالب على أعراف الموج مثلها ، والعباب
الزاهر يصطنخب من ورائها ، واللجة من بعد
اللجة تجيش وتضطرب تحتها ، كأنما تتحدى اليم
في طائفة وثبات ، أو تسابق في الجو البواشق
البراة ؛ وكيف لا ، وقد حملت رجلاً لا كالرجال ،
وبطلاً بز الأبطال ، وحكماً رباً^(١) للآلهة في
المكرات وعظيم الفعال ، وقرناً ليس كمثله قرن
في يوم كريمة أو نزال ؛ لم يف من قبل هذه
النفوة الناعمة التي باعدت بينه وبين ما تجشم من
آلام وأحزان وأشجان ...

(١) في نسخة أنهم حملوه بفراشه

(١) الترب بالكسر الله أو المنبه

يحييه : « هلم يا أخى فاصنع ما بدالك ، وافعل فعلتك التى رسمت ، وليكن ذلك حينما يقتربون من مدينتهم حتى يرى أهل شيرا ما يحل بسفينتهم لتكون لهم آية : » . وانطلق مزئول الأعماق فى أثر الفياشين حتى إذا كانوا قرب قوسين من الشاطئ أرسل يده تحت فلكهم فضر بها ضربة هائلة أرسلتها فى الهواء وهوت بها إلى اللج ، ثم تركت مكانها جبلاً عالياً أشم ، ولوى عنانه إلى أرجاء ملكه الرحب

ووقف الفياشيون — ملوك البحار — على شاطئ البحر مسبوهم دهمين دهمين يسأل بعضهم بعضاً : من ذا الذى أرسى هذا الجبل الهائل مكان سفينتهم تلقاء المدينة حتى ليحجبها عن أنظار السفن العابرة فى اليم ؟ والتفت الملك وكان واقفاً بينهم فقال : « يا لالهة ! لقد ذكرت نبوءة قديمة قصها على والدى فيما عبر من الزمان ... فلقد ذكر لى أن شعبنا المجيد مأذون له من نيتيون أن نحمل الناس من كل فج ، من ضل سبيله منهم إلى بلادهم مهما تئات . وقد ذكر أيضاً أن سفينة من سفننا بعد إذ ترد من رحلة لها إلى بلد رجل غريب تازح ، ستغرق فى اليم ويسبق مكانها جبل عظيم شاهق يحجب شيرا عن البحر ... وها قد تحققت النبوءة ، فهاجوا تقرب الإله البحار نيتيون باثنى عشر مجلاً جسداً تكون أعظم عجولنا وأهلاها قيمة ، عسى أن يرئى لنا فيكشف عنا هذه النعمة ولا يحول بين البحر وبين مدينتنا بهذا الطود الكبير الرامى . وتفرع زعماء الفياشين ، وبادروا إلى عجولهم فجزروها باسم نيتيون ، وتككبوا حول مذبحه فصلوا له ، وسبحوا بذكره ... أما أوديسيوس فقد هب من نومه وهو لا يدري أين هو ؛ ومع أنه كان ينام أذ النوم فوق شاطئ ، بلاده ، فإنه لم يعرفها

الإله الأعظم الأبدى ، أبداً ما أحسبني أنال نصيبى من التقديس والتبجيل بين الآلهة منذ اليوم ، مادام شعب فياشيا لم يأبهوا أن يحقروني أو يبالوا بي ، فقد كنت عولت على ابتلاء أوديسيوس بأروع صنوف البلايا قيل أن تطلا قدمه أرض بلاده ، ولم يكن فى تصميمي أن أحول بينه وبين العودة إليها لأنك كنت قد وعدت بتمهيد السبيل لهذه العودة ، ولكنهم حملوه على فلكهم غاراً فى أحلى المنام ، ثم حملوه على الشاطئ الإيثاكي بما معه من العطايا والأذخار ، وطرف النحاس ، وتحف النضار ، ومطارف الدياج ، وما حمل من كنوز لم يكن يحمل شيئاً منها حتى لو عاد بنصيبه من أسلاب طروادة : واأسفاه ! واأسفاه ! » وقال يحييه رب السحاب الثقال : « ماذا تقول يا مزئول الشيطان والخلجان ، يا ذا الملكوت والجبروت ، يا أيها العظيم نيتيون ؟ لا عليك يا أخى ! لا عليك ، فإنه لن تحمرك الآلهة ولن تستخف بك ! فإذا استخف بك ملاً ضعيف من بنى النوقى — عبادنا البشر — فما يضريك ؟ أليس فى يديك ألف فرصة للبطش بهم والانتقام منهم ؟ اربع عليك يا نيتيون ، وصل ملاذك ، فإنك لست عبداً لأحد » قال نيتيون : « جوف يارب السحاب إنه ليس أحب إلى من أن أبطش بهم كما أشرت ، ولكنى لا أخشى إلا تحديك لى دائماً بغير حق ، وإنى أرجو أن أعصف بسفينتهم فى دأمانى اللجى حتى لا يحملوا ضارباً فى البر والبحر مثل أوديسيوس مرة أخرى ، وإنى مقتف آثارهم الآن ، فضارب فلكهم اللعين ، فساحره فى الحال إلى طود عظيم ينهض بروقيه أمام مدينتهم حتى ليحجبها عن كل سارب فى البحر فلا يراها أحد أبداً : » فقال جوف

إنتقم لي يارب الأرباب من هؤلاء الخونة المبطلين ،
ولكن ... يجدر بي قبل كل شيء أن أحصى أذخاري
لأرى هل سلبني منها هؤلاء اللصوص شيئاً ؟ » ثم
راح يحصر كنوزه ، فما وجد شيئاً منها ناقصاً أو
غير موجود ، وزاد ذلك في أشجانه ، فأخذ يندب
حظه ، ويبكي على ما أتى من زمانه ، وينشج نشيجاً
مؤملاً لهذه الهجرة الظالمة عن أوطانه وجعل روح
ويندو على سيف البحر المضطرب ، وحيداً معنى ،
ويرسل دموعه وزفراته حتى بدت له آخر الأمر
مينرقا في صورة راع صغير غض الأهاب عجيب الثياب
جميل المحيّا ، كأبناء اللؤلؤ ، ملتفماً حول عنقه ومن
فوق صدره بشفيف ^(١) صفيق تطوى حولها طيتين
وفي قدميه نعلان متواضعتان ، وفي قبضته حربة ناعمة
لامعة ... وكانت مفاجأة سارة فوجى بها أوديسيوس
نخطا خطوات عاجلة إلى الشاب وراح يسأله :
« مرحباً أيها الغرائق الجليل ! لقد كنت أول إنسى
ألقاه هنا ، فبحق هذا عليك أنت تحميني وتحمى
أذخاري هذه ، وألا تلحق بأينا أذى ! إني أتوسل
إليك كما لو كنت أتوسل إلى أحد الآلهة أن تصدقني
فيما أسألك عنه : أية بلاد هذه ؟ وأى قوم يعيشون
فيها ؟ أهى جزيرة آهلة ، أم حدّور من بلاد مترامية ؟
أخبرني بأربابك أيها الفتى . »

وقلت مينرقا ذات العينين الزرجيتين بحبيبه :
« أيها الغريب اللاجئ كم أنت ساذج ! كيف تسأل
عن هذه البلاد كأنك لست من أهلها ! إنها بلاد
ذات ذكر في المشرق والمغرب ، ومنها وإليها
تصدر الركبان إلى كل فج ، ثم هي ليست بهما ،
مجهولة ، بل هي جنة مأهولة ، زاخرة بالحيرات
(١) الثوب الرقيق

لطول ما شطت به النوى ولأن مينرقا الكريمة ،
سليمة جوف العظيم ، كانت قد ألقت حوله ظلالاً
تحجبه عن أعين المارة مخافة أن يعرفه أحد منهم قبل
أن تلقته من حكمتها ما هو ضروري له في حالته
هذه ... كأنما أرادت ألا يستبينه أحد من مواطنيه
ولا من أصدقائه وذويه حتى يبطش البطشة الكبرى
بالمشاق الفسّاق الذين استباحوا عرضه واستحلوا
بغير الحق زاده وخيره ، وعمرؤا كالشياطين دارة ..
لذلك موته مينرقا كل شيء في عيني أوديسيوس
فالطرق مستقيمة مستطيلة ، والموانئ رجة مترامية ،
والجبال ذاهبة في السماء ، والدوح بأسق يطاول الجوزاء
وكل شيء ليس كأى شيء مما عهده البطل في بلاده ..
ووقف يقلب عينيه في المشاهد انحدقة به ، ثم تهد من
أعماقه ، وبسط كفيه إلى السماء ، وضرب بهما في
برم على نغديه ، وأنشأ يقول : « ويلاه على وألف
ويل ! أى شعب من الشعوب يقيم بهذه الأرض
رى ؟ أجلاف ظلمة هم ، أم أطهار أخيار ينجبتون
للآلهة ؟ ليت شمري أين أخيه هذه الكنوز
والأحراز ؟ وى ! بل أياي أذهب أنا ؟ لعمري لقد
كنت أوتر ألا أنال شيئاً منها من هؤلاء الفياشيين
على أن أكون قد حلت بأرض ذى نخوة وذى
نخوة من ملوك الأرض غير هذا الملك الكينوس ،
فكان يرسلنى آمننا سالماً إلى بلادى ! ماذا أصنع ياربى ؟
أترك هذه الثروة الطائلة هنا ؟ أدعها فريسة حلالاً
لغيرى من الناس ، وأهيم في هذه البطحاء على وجهى
وأأسفاه ! أهكذا يفرر بي الفياشيون فيلقوننى في
شاطئ غير شاطئ بلادى ، وقد وعدوا أن يهبطوا
بي مرفأ إيثاكا الأمين ؟ اللهم يا جوف العظيم ، يا من
إليه يجأر أبناء السبيل والهاجرون والمساكين ؛

موفورة البركات ، ففيها أنضر سهول القمح ،
وأبهج عرائش الكروم ، وأخصب المراعي الخضراء
الحافلة بقطعان النعم والشاء ؛ تسقى من ماء معين ،
وأشهار وعميون ... هذه يارجل إيثاكا ... إيثاكا
المباركة ، التي استطلت شهرتها ، واستطار ذكرها
حتى ملأ الخافقين ، وجاوز طروادة ذات المجد ، التي
لا تبعد شطآنها من آخايا »

وشاع البشر في نفس أوديسيوس لما سمع
الراعي الجميل يؤكد في لهجة قاطعة أن هذه البلاد
هي إيثاكا الموعودة ، وهز السرور أعطافه لما رأى
من زهو الشاب وافتخاره بها ... بيد أنه مع
ذاك راح يتجاهل ، ويبدى عدم معرفته لهذه
البلاد ، ويحاول أن يخدع الفتى عن نفسه ، وما
يخدع إلا نفسه هو ... قال : « أجل ... لقد
سمعت عن إيثاكا في أقصى البحار ... والناس
يعرفونها حتى في كريت التي وصلت منها اليوم
بتأدي هذا ، تاركاً فيها أبنائى وذوى رحى ، قاراً
بنفسى من القملة الهائلة التي فعلت ... يا ويح لى !!
لقد قتلت العداء المعروف أرسيللو بن أيدومين
العظيم ، للذى لم يكن يباريه في سرعة عدوه أحد .
لقد حدثته نفسه أن يسلبنى ماغنت من كنوز
طروادة وأسلابها وما حصلت عليها إلا بعد قتال
شديد واطلى حرب ، وركوب أهوال في ذاك اليم ...
وذاك لأنى أبيت أن أقاتل تحت لوائه ، أولواء سيده
ومولاه ، بل قدت فيلقاً من الجند فظفرت
واتصرت ، فكبر عليه هذا ، وحفظها لى ،
وأضمر في نفسه القدر ، فلما عدنا أدراجنا إلى أرض
الوطن ، حاول أن يسرقنى كنوزى ، فأقصده (١)

برحى فأرديته ، وكان معه زميل له شرير فذبحته ،
واستعنت عليهما بدجى الليل ودُجُنته ؛ ثم هربت
تحت أستار الظلام بأحرازي إلى الشاطئ ، حيث
حملتنى سفينة فياشية رجوت ملاحيتها أن يبحروا بى
إلى شاطئ بيليا ، أو إلى مرفأ إيليس ... لكنهم
والأسفاه اضطروا إلى الإرساء هنا لأن ريحا عاصفاً
قصرتهم على ذلك ، فوصلنا هنا برغمنا في جنح الليل
البهيم ، ولقينا عناء عظيماً في النزول بالمرفأ الأمين ؛
ومع شدة حاجتهم إلى الطعام ، فإنهم لم يستأنوا ، بل
تركونى وحدى ، وأبحروا على عجل ، بعد إذ نمت
على الشاطئ من الإعياء ، وبعد إذ حملوا إلى هنا
متاعى ... وهم الآن في طريقهم إلى سيدونيا ...
وهأنذا وحدى هنا ، لا أعرف أيا ن أذهب ، ولا أين
أمضى !! »

وسكت أوديسيوس .. ولكن الراعي الشاب
الجميل أخذ يتحول في فتون وسحر إلى صورة
خلافة أخرى ... لقد أصبح امرأة حسناء هيفاء ...
وها هى ذى .. تلك المرأة الحسنة الهيفاء .. تبدو
في صورة ميثرا - ربة الحكمة - التي اقتربت
من البطل في تبسم وظرف ، وأخذت تعبت بلحيته
الكثة الشعثاء في دلال وسخرية ، وراحت بدورها
تجيبه : « مرحى أوديسيوس ... مرحى مرحى !!
ما أحسب أن أحداً - حتى من الآلهة - يفوقك
في مكرك وبراعة حيلتك يا ابن ليرتيس !! أما أن
أن تقلع عن مراوغاتك التي حذقتها مذكنت يافعاً
وعن توشية الأحاديث الملفقة التي حذقتها واشتهرت
بها في العالمين ؟! ولكن ... تعال ... ليدع كلانا
ما يحاول أن يزوق به كلامه ، فكلانا بارع في ذلك
صناع ... أنت بفصاحتك . ودقة فهمك وطريف

جيتك بين الناس ؛ وأنا بحكمتي وقوة تدبيرى بين
الآلهة ... وما أحسبك تجهل مينرثا ابنة جوف
الأكبر ، التى كانت رائدك ورفيقك فى كل ما حاق
بك من مكروه ... فلقد كنت أقذف الشجاعة فى
قلبك فى مواقف شدتك . كما كنت أثير الحمية فى
أفئدة الفياشين الذين وصلوا بك إلى هنا وهأندى
طويت إليك فدافد الرب لأخلو ساعة بك ، ولأن
لى حديث نصيح معك ، بودى أن أمحضك إياه ...
وقبل هذا ينبغى أن تخبى . كنوزك التى أسبغت
عليك بمشورتى ... ثم إنى محدثتك عما يتحيفك من
أرزاء ، وما يدبر لك من كوارث تحت سقف بيتك ،
ونصيحتى أن تحتمل ما بصيبك أول الأمر بقلب
جليد وصبر ثابت وطيد ، واحذر أن يعلم أحد ،
رجلا كان أو امرأة — بوصولك إلى إيثاكا وحيداً
شريداً لا حول لك ، كما وصلت ، بل اصمت كما
حاول أحد أن يتعرفك ، واحتمل الأذى كما امتدت
به يد إليك . » وقال أوديسيوس ، وقد أسقط فى
يديه : « لله درك ياربة ! ما أبرعك فى تغشية العيون
وتضليل الأبصار ، والتشكل فى أى صورة شئت !
بيد أنك برغم ذلك حليلة رحيمة كمهدى بك دائماً
ألا كم نصرت أبطال أخايا المذاويد ، وأظفرتهم
بأعدائهم فى ميدان طروادة ... ولكنى لن أنسى
مذ أقلع أسطولنا من مياه تلك المدينة ، بعد سقوطها
فى أيدينا أنك لم تظهرى لنا قط ، ولم تبادرى مرة
إلى إنقاذى من إحدى الرزايا التى كانت تحيق بى
والتي كنت احتملها بقلب حديد ، وصبر شديد ،
حتى رئت الآلهة لحالى فجعلت لي منها مخرجاً وأتقدتني
إلى برفياشيا ، حيث أثرت فى صدرى النخوة ،

وأولتني الشجاعة ، وكنت دائماً دليل ورائدى ...
ولكن ... أصدقيني بأبيك يا ابنة جوف ، هل
وصلت حقاً إلى إيثاكا ؟ أم أنا فى صقع سحيق عنها
وإنما أنت تسخرين منى وتعبثين بى ؟ أصدقيني بأبيك
ياربة ، هل هذه بلادى العزيزة إيثاكا ؟ هل هي
حقاً ؟ » وقالت ذات العينين الزرجديتين بحجبه :
« دائماً حذر يا أوديسيوس ، وإلى الأبد يعلأ
الوسواس صدرك ، برغم ما أوتيت من حكمة وتبيان
ورجاحة فكر وسلامة جنان ! بيد أنك معذور
يا صاح ، إذأى رجل لا يتشوف لرؤية زوجه وأبنائه
ولا يتحرق شوقاً للقيام ، بعد هذا النوي الطويل ،
والبعد الممض ، والأهوال الجسام الجمة ؟ غير أنه
أفضل لك ألا تعلم شيئاً ولا تسأل عن شي حتى تلمس
بنفسك مقدار ما تكنه لك من الحب ، تلك الزوجة
الوفية المنخلصة التى ذهب شبابها عليك حمرات ،
والتي ذرفت دموعها من أجلك آناء الليل وأطراف
النهار طوال تلك السنين الباكية الحزينة الموحشة ..
إنى لم أتركك يا أوديسيوس كما تظن ، بل كنت أعلم
أنك راجع دون ماريب إلى بلادك ، وإن فقدت كل
رجالك ورفق سفرك الطويل الشاق ... غير أنى
أشفقت أن أثير حنق نبتيون ، عمي وأخو أبى ،
الذى يحز الأسى فى قلبه من فعلتك التى فعلت
بمين ابنه السيكاوب ... ولكن هلم ... إنى سأقطع
شكاً باليقين ، وسأدلك على علامتك تؤكد لك أنك
فى إيثاكا ... فهذه هي ميناء فورسيير حكيم
البحار ، وها هي الزيتونة الكبرى عند رأس المرفأ
وعلى مقربة منها ذلك الكهف المقدس الإلهى الذى
تأوى إليه عرائس البحر المروفة باسم النيد ، وقد

طالما كنت تجوز القرابين والأضاحي باسمهن عند وصيده ،
 وهاك جبل نيريتوس وأولئك غابات الشجراء .. »
 ثم رفعت ربة الحكمة الغشاوة عن عينيه فعرف دياره
 ولم ينكر شيئاً منها ، وهكذا شاءت العناية أن يشهد
 البطل المكدود بلاده الحبيبة مرة أخرى ، وهكذا
 خر أوديسيوس جائياً يقبل ترى الأرض المقدسة ،
 ثم رفع يديه يصلي لعرائس الماء كسابق دأبه :
 « يا عرائس البحر يا بنات جوف الأعظم ، لقد قنطت
 قبل هذا من أن أراكن ، فهأنذا أعود إليكن بألف
 نذر وألف تحية وسلام ... لكن القرابين الغوالي
 إذا مدت أختكن - مينرفا الحكيمة - في أيدي
 وباركت رجولة ولدى ومعقد أحلامي »

وقالت ابنة جوف تؤيده : « تشجع يا أوديسيوس
 لا طائل لهذه الوسوس التي تعذبك ! هلم ! البدار
 البدار ! لنخبي هذه الكنوز في أعوار ذاك الكهف
 السحيق لتكون في مأمن من عبث عابث ، ثم هلم
 أدبر الأمر معك » وانطلقت الربة في ظلمات الكهف
 تتكشفه بينما حمل أوديسيوس أذخاره فوضعها حيث
 أشارت مينرفا ، ثم حملت بيديها الجبارتين صخراً
 عظيماً فأحكمت به غلق المدخل الرهيب . وجلسا عند
 أصل زيتونة بأسقة ، وشرعا يرسمان الخطط ويحكمان
 التدبير لهلاك المشاق الفساق المعاميد ، فقالت
 مينرفا : « أوديسيوس ، يا ابن ليرتيس المجيد ، هلم
 فاعمل فكرك الآن في الوسيلة التي تبديد بها أعدائك
 الذين لا يستحون ، أولئك المشاق الذين استبدوا
 بأسرتك طوال أعوام ثلاثة ، واستباحوا حماك ،
 وتكالبوا حول زوجتك كل هذه السنين يغرونها

بالوعود ، ويخرقون لها الأمانى ، وبمسلون لها كلمة
 الفسق ، وهى ما تزداد إليك إلا تحرقاً ، وما ترقاً
 دموعها من أجلك ، فتحتال لهم ، وتمد هذا وتوشى
 المنى لذلك ، معالة نفسها بعودتك لتسحقهم جميعاً ! »
 واستعبر أوديسيوس قليلاً وقال : « أوه ! كأن
 القضاء الذي أسكت نائمة أجا ممنون يكاد يحقق بي
 أنا الآخر في صميم دارى ! ولكن .. وى ! أضرع
 إليك أيتها الربة أن تشيرى على وتنصحى لى وتلقيننى
 كيف أثار من هؤلاء الطغاة ، وأتوسل إليك أن تقذفى
 فى قلبى الشجاعة كما قذفتها فيه تحت أسوار طروادة ،
 فأنى بمونك أدوخ المئين من أعدائى ، مادامت يدك فوق
 يدى ، فأنى مستأصل شاقهم جميعاً » قالت مينرفا :
 « اطمئن يا أوديسيوس ، فسأكون معك وإن لم يمتد
 إلى طرفك حتى تغتالهم أجمعين ، وحتى تطيح رؤوس
 أكثرهم على أرض قصرك ... ولكن تعال ،
 ألق بالك إلى ، إنى سأغير من صورتك ، وأحور من
 شكلك حتى لا يعرفك منهم أحد ؛ فهاتان الوفرتان ^(١)
 تستطيلان حتى تغطيا كتفيك وحتى تتصلا بالعمة ^(٢)
 وسأدترك بدثار مرقع رث يشير التقرز فى نفوسهم
 فلا يمدون أبصارهم إليك ، وسأحدث أوراماً حول
 عينيك تريد فى تذكرك ، حتى ليحسب من يرى
 إليك من أعدائك أنك وأهلك بعض المساكين
 الذين لا يفتأون يضربون فى الأرض ... على أنه
 ينبى أن تلق راعيك الأمين (إيوومايوس) الرجل
 الوفى الذى ما زال يخلص لك ، ويفى لابنك ، ويؤثر

(١ - ٢) الوفرة . مبالغ شحمة الأذن من الشعر واللثة
 ما ألم بالثكيب منه

المرفع الرث ، وهاهي ذى تحدث الأورام حول عينيه
وتزوده بمزق قدرة قد علق بها التراب والسخام (١)
وهاكها تضفي عليه بعد ذلك جلد ظبي قديم غليظ
وتدفع إليه بمكازة طويلة يتوكأ عليها ، وتمده بمزود (٢)
تدلت منه أوشية قبيحة ، وأحيط بسبور من جلد
عتيق ...

واقترفا ... فهو إلى حيث يلقى راعيه ... وهي
إلى حيث تاتى تليماك في مملكة ليسديمون .

« يبيع »
درييني فضبه
(١) النجم أو ما يعرف « ناعمة بالجاب » (٢) خرج

لجنة التأليف والترجمة والنشر

سيرة السيد عمر مكرم

لؤلؤها الأستاذ محمد فريد أبو مديبر

سيرة جلييلة من سير الزعامة الشعبية وصفحة
رائعة من صحف الجهاد القومى خلال القرن
الثامن عشر حتى فاتحة عهد محمد على عند
ما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالنصور التاريخية

ثمنه عشرة قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسى رقم ٩

ومن المكاتب الشهيرة

بأسنى وده زوجك ... فاذهب إذن إلى جُبيل
كورا كس المظل على نبع أريشوزا ، تجد قطعانك
ترعى المشب الحلوثة ، وتسقى من السلسيل المجاور ؛
وتجد راعيك الشيخ يتشوف إلى رؤيتك ، فحيه
واجلس إليه ، واسأله عن كل ماترى أن تعرف من
أنباء بيتك وأهلك وعقارك ، وتلبث معه حتى أعود
إليك بابنك من أسرطة ... ابنك تليماك الذى ذهب
يذرع الرحب سائلا عنك ، متحسسا أخبارك حيث
حل ضيفا كريما على الملك منالوس ، الذى أرسله
إلى ليسديمون ليرى هل ما يزال أبوه حيا يرزق ؟
قال أوديسيوس : « وأأسفاه عليك يا ولدى !! ولم
أتبها الربة المحيطة بكل شىء ، لم تخبريه أننى حى أرزق
وأنتى لا بد عائد إليه ، فكنت كفيتة بلاء الرحلة
في نيه البحر ، بينا هؤلاء الكلاب يستزفون ثروته
وماله ؟ » فقالت تجييه : « لا تأس على ولدك هكذا
يا أوديسيوس ؛ لقد أرسلته أنا ثمة يمشد الشرق
وينشر ذكره بين الناس ... إنه لا يلقى عنتا هناك ،
بل هو ينعم بالرعاية في قصر أريدىس : واعلم أن
فريقا من عشاق بنلوب يتربصون به ، ويترصدونه
في طريقه ابتغاء أن يقتلوه قبل أن يبلغ أرض
الوطن ... ولكن لا ... خاب فآلهم ... إنهم لن
يمسوه بأذى حتى تكون الأرض قد رويت من
دمائهم ، وغيبوا جميعا في بطونها ؛ أولئك السفلة
الذين يستحلون زادك وعتادك الآن » . ثم مسسته
بعضاها السحرية فبدت عليه بدوات الكبر ؛ فهذا
جلده قد تغضن ، وهاتان وفرتاه ولته قد استطالت
حتى بلغ شعرها قدميه ، وهاهي ذى تضفي عليه الدثار